التعليم في المغرب الأوسط

- **التعليم**:

يعتبر التعليم من العوامل الأساسية لنمو الحركة العلمية والفكرية، ولدفع عجلة التطور والتقدم للمجتمعات، وترقيتها سلوكياً وحضارياً.

وقد كان المغرب الأوسط بكل حواضره مكاناً خصباً ازدهر فيه التعليم بجميع أنواعه وأشكاله، مما انعكس إيجابا على المجتمعات عموماً وعلى الحركة الثقافية و الفكرية خصوصاً.

أ- **أنواع التعليم**:

01- **التعليم الشعبي**:

لقد حث القرءان الكريم في كثير من الآيات على طلب العلم، والاجتهاد فيه، وكذلك جاءت السنة النبوية بالكثير من الأحاديث الدالة على ذلك.

وعندما أقبل الفاتحون المسلمون، وفي مقدمتهم الصحابة الذين عاشوا ظروف الوحي مع رسول الله ﷺ، حملوا معه مشعل الدعوة الإسلامية التي لن تنتشر وتتجذر في المجتمعات إلا بالتعليم، فكلما فتحوا مدينة قاموا بتأسيس المساجد والمؤسسات العلمية والتربوية، بل أن هؤلاء الصحابة أخذوا على عاتقهم مهمة القيام بالتعليم ، فكانوا دعاة وفاتحين ومعلمين، وهكذا أخذ التعليم ينتشر في هذه الأقطار ومنها المغرب الإسلامي، خاصة بعد ما ترسخ الدين جيداً في هذه البلاد، حيث ظهرت أجيال حرصت على نقل هذه الرسالة العلمية إلى الأجيال التي جاءت بعدها، فسار التعليم بخطى ثابتة جنباً إلى جنب مع انتشار الإسلام.

وكانت أبرز مظاهر التعليم في هذه المدة تتجلى في التعريف بأركان الإسلام، وشرح الآيات القرآنية وتفسيرها، والتعريف بالحلال والحرام من أمور الدين.

وهذا النوع من التعليم، أي التعليم الشعبي، هو ضمان الحد الأدنى من المعارف الدينية التي تتيح للمسلم معرفة الشعائر الإسلامية فهو موجه إلى كافة الناس.

وقد أصبحت لهذا التعليم مناصب دينية وإدارية واجتماعية مثل: الإمامة والقضاء والفُتيا والحسبة، وقد ظهر التعليم الشعبي جلياً في المغرب الإسلامي مع ظهور المرابطين في الصحراء، حيث غلب الجهل

على سكانها، فانبرى المرابطون لنشر التعليم في هذه المناطق، بالرغم من أنهم ألزموا المجتمع على تعلم فقه الإمام مالك ، ومؤلفاته،كالرسالة والمدونة، ومنعوا تدريس بعض العلوم كالفلسفة.

كما اعتنى الموحدون بحركة التعليم في المغرب، واهتموا بالجانب التربوي الشعبي ، فأدخلوا الطلبة والحفاظ في جهاز الدولة وفرضوا نظاماً صارما ركزوا فيه على إجبارية التعليم بقراءة كتاب التوحيد للإمام المهدي بن تومرت.

وقام الموحدون بمراقبة التعليم في المغرب الأوسط ، حيث فرضوا طوقاً على الفقهاء والصوفية الذين يقومون بتعليم العامة، وهذا ما يؤكده الغبريني في عدة مواضع من عنوانه، كالشيخ أبي مدين شعيب(ت 594هـ/ 1198م) الذي وشي به عند الخليفة الموحدي يعقوب المنصور(580- 595هـ/ 1184-1198 م) فأمر صاحب بجاية أن يحمله إليه.

لقد عرفت حواضر المغرب الأوسط التعليم الشعبي، فقد أعطى لنا الغبريني أمثلة عديدة عن تصدر فقهاء وعلماء بجاية لتعليم العامة، فهذا أبوزكرياء يحيى الزواوي(ت611هـ/1214م) الذي كان مجلسه مقصداً للعامة في الجامع الأعظم ببجاية، حيث كانوا يزدحمون على دروسه في الفقه وعلم التذكير وكان يقرأ عليهم كتاب (المسند الصحيح من حديث رسول الله ﷺ) للإمام أبي عبد الله مُحَمَّد بن إسماعيل البخاري(194-265 هـ/809-878م) ، ويصف لنا الغبريني هذا المجلس بقوله<< ما يمر بمجلسه إلا ذكر النار والأغلال والسعير، وتكاد تفيض قلوب الحاضرين في مجلسه ، هذا هو حاله دائما ، وهذه الطريق هي أحسن الطرق إلى الله تعالى ، إذ جبل الله الخلق على أنهم لا ينفعلون غالبا إلا بالخوف ، ولأجل هذا كان أكثر الشريعة تخويفاً >>.

وكذلك كان الشيخ أبو علي المسيلي ، يقوم بتدريس العامة الدين ، ويعرفهم بالحلال والحرام من أموره حيث كان الناس في أشد الحاجة إلى مجالسه ودروسه بالجامع الأعظم .

وفي القرن السابع للهجرة /13م استمر علماء بجاية بتعليم العامة ، وبشكل أوسع مما كان عليه في أواخر القرن السادس الهجري/12م ، حيث أشار الغبريني إلى ازدياد الحلقات العلمية التي كان يقدمها علماء بجاية ، وإلى كثافة الدروس التي كانت تقدم إلى العوام ، ومن هؤلاء نجد أبو القاسم أحمد بن عجلان القيسي(ت 675هـ/ 1277م) الذي أنتفع الناس بعلمه وأبو تمام الواعظ الذي اشتغل بتذكير العامة وتعليمهم يقول عنه الغبريني :<< كان له مجلساً يروق الحاضرين ، ويسر الناظرين ... وكان يوجد لكلامه في النفس أثر، وكان أكثر مجلسه التخويف، وكان له أتباع من الجمهور>>.

والفقيه أبو عثمان سعيد بن عبد الله الذي عاش في القرن 7هـ/ 13م، حيث كان منشغلاً بترشيد الناس. وشارك العلماء الأندلسيون الذين استقروا ببجاية في التعليم الشعبي،وترشيد العامة وتذكيرهم ، حيث استغلوا المعارف التي اكتسبوها ، والعلوم التي تعلموها في سبيل تعليم الناس والأخذ بأيديهم ، ومن هؤلاء نجد الفقيه أبي زكرياء يحي الأندلسي،عاش في القرن(7هـ/13م) والذي أبى إلا أن يساهم في التعليم الشعبي، حيث كان له مجلساً بالجامع الأعظم لتعليم الناس أحكام الدين.

كما عرفت تلمسان في عهدها الزياني التعليم الشعبي خاصة في المساجد والكتاتيب، حيث كان يشرف على هذه العملية الكثير من المدرسين والعلماء، نذكر منهم ابن مرزوق الحفيد، وسعيد العقباني وغيرهم من العلماء الذين ذكر الكثير منهم صاحب البستان.

وإذا كان التعليم الشعبي بالمغرب الأوسط قد بدأ بترشيد العامة وتذكيرهم ، وتعليمهم المبادئ الأولى للدين، وتبيين الحلال والحرام منه، وذلك بالتركيز على تدريس الفقه، والحديث، فإن هذا التعليم قد تطور بمرور الزمن، وهذا ما تؤكده المصادر التاريخية، حيث أضاف هؤلاء المعلمون والفقهاء مواد أخرى كعلم القراءات، وأصول الفقه، والتصوف، وأصول الدين.

02- **التعليم الاحترافي** :

التعليم الاحترافي هو ذلك التعليم الموجه إلى النشأ الذين تتراوح أعمارهم مابين سبع سنوات، وعشرين سنة في الغالب، حيث يتم الإعتماد في هذا التعليم على اللغة العربية الفصيحة كأداة للتواصل بين المعلمين والمتعلمين.

وقد أدرج عبد الرحمن بن خلدون مهنة التعليم الاحترافي ضمن الصناعات المعاشية، ووضح الاختلاف بينه وبين التعليم الشعبي العام فإذا كان هذا الأخير هدفه ترشيد العامة من الناس، والوصول بهم إلى درجة معينة من العلم والفهم التي تؤهلهم إلى معرفة الأحكام الشرعية، وتمييز الحلال والحرام من أمور الدين،فإن التعليم الإحترافي هدفه تكوين جيل من الطلبة المتخصصين في العلوم، حيث كانوا يستمرون في مزاولة الدروس والتعمق فيها، وذلك بواسطة الرحلات العلمية، والتنقل بين الحواضر للإستزادة وملاقاة الفقهاء وكبار الشيوخ، ومن ثم يعودون إلى أوطانهم بعلم غزير ، يؤهلهم أن يكونوا من مصاف الشيوخ، ويبؤهم لتولي المناصب العلمية للتدريس، وإدارة المجالس ، وتولي الخطط الإدارية.

لقد عرف المغرب الأوسط التعليم الاحترافي منذ السنوات الأولى للفتح، وتذكر لنا المصادر الكثير من العلماء والمدرسين الذين مارسوا هذا النوع من التعليم كأبي العباس بن فتحون وعثمان بن الصفار الذَيْن

عُرفا بجودة التعليم في عهد الدولة الرستمية، حيث كانت لهما مجالس تعليمية للطلبة بتيهرت، كما كان إمام الدولة أفلح بن عبد الوهاب وابنه يعقوب يقدمون الدروس للطلبة.

وعرف العهد الفاطمي كذلك الكثير من العلماء الذين قاموا بهذه المهمة، منهم أبو عثمان سعيد بن مُحَمَّد بن صبيح الغساني المعروف بابن الحداد الذي كان عالماً وفقيهاً، وكانت له مجالس علمية مخصصة للطلبة، كما عُرف بمخالفته الشديدة للشيعة الروافض، فكانت له مناظرات أفحم بها خصومه.

واجتهد الكثير من علماء بجاية في التكفل بالطلبة علمياً،وتكوينهم تكوينا خاصاً، يضمن لهم أن يكونوا شيوخاً وفقهاء، ومدرسين في شتى العلوم والفنون، وقد أورد لنا الغبريني أمثلة واضحة في عنوان الدراية، عن التعليم الإحترافي، أو التعليم الأكاديمي المتخصص الذي عرفته حاضرة بجاية.

فهذا الشيخ أبومدين شعيب (ت 594هـ /1198 م) كان يدرس التصوف للطلبة تعليما تربوياً ، معتمداً على العديد من المصادر الصوفية وكان أبو علي المسيلي(ت أواخر القرن السادس الهجري/12م)، يقوم بالتدريس للطلبة ، حيث كان له إلمام كبير بالتعليم.

وكان الشيخ عبد الحق الأشبيلي (ت581هـ/1185م) من العلماء الذين تفرغوا لتعليم الطلبة ببجاية ، حيث أستطاع أن ينهض بالتعليم ببجاية ، وأن يقدم للطلبة الشيء الكثير خاصة في علوم الحديث.

وأثنى ابن خلدون كثيرا على الفقيه أبي علي ناصر الدين المشذالي(631- 731هـ/1233/1330م) الذي أرتحل من بجاية إلى المشرق، والتقى بأكابر العلماء كعز الدين بن عبد السلام، وشرف الدين السبكي، وأخذ عنهم، ولقن تعليمهم، ثم رجع إلى بجاية بعلم كثير وتعليم مفيد، حيث استفاد منه طلبتها،ويصف الغبريني طريقة تدريسه بقوله<< ودروسه حسنة منقحة، وله عبارة جيدة، وهو كثير البحث، ومحبته في البحث أكثر من محبته في النقل>>.

ومن علماء بجاية الذين اشتغلوا بالتعليم الفقيه أبو تميم ميمون البردوي(ت584هـ/1188م)، الذي كان يدرس الفقه، وأصول الدين على طلبة بجاية.

وكان بعض الفقهاء يتخذ لنفسه مجموعة من الطلبة النجباء، يختارهم حتى يتم تكوينهم تكوينا خاصاً، كالفقيه الأصولي أبي عبد الله بن عبد السلام المعروف بابن الطير الذي اختار مجموعة من الطلبة الخواص لتعليمهم الفقه، والأصول والفقيه أبو الحسن علي بن عمران(ت 670هـ/1271 م)الذي كان يدرس على مجموعة من الخواص أصول الدين، والتصوف.

ويذكر لنا الغبريني في برنامجه مجموعة من الشيوخ والفقهاء الذين تكوّن عليهم تكويناً علمياً معمقاً في العديد من العلوم والفنون كالفقه والأصول و التصوف واللغة العربية، وآدابها، حيث كان لهؤلاء الأساتذة والشيوخ حلقات علمية تكوينية للطلبة تؤهلهم لأن يكونوا من خيرة العلماء والفقهاء، وترشحهم لتولي مناصب التدريس والأستاذية، وإدارة الخطط والمناصب الإدارية كالقضاء والفُتيا والإمامة.

ب-مراحل التعليم:

كان التعليم بالمغرب الأوسط مقسما إلى مرحلتين،المرحلة الأولى، والتي كانت تتم في الكتاتيب وموجهة لتعليم الصبيان،ويمكن أن نطلق عليها المرحلة الابتدائية أما المرحلة الثانية فهي التي تلي مرحلة الدراسة بالكتاب،حيث يبدأ الطلبة بالتعمق في دراستهم،وتتسم المرحلة الثالثة بالتخصص حيث لا يصلها إلا الطلبة المتفوقون أو الذين لديهم رغبة كبيرة في الوصول إلى درجات متقدمة من التحصيل العلمي تؤهلهم لان يكونوا أساتذة وشيوخا،وهذه المرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الدراسات العليا.

01- المرحلة الأولى من التعليم:

وتبدأ هذه المرحلة عندما يبلغ الصبيان سن السابعة، حيث كان أغلب الفقهاء يفضلون هذا السن، بالرغم من وجود بعض الأطفال الذين يدفعون إلى الكتاتيب في سن الخامسة والسادسة.

والواقع لم تكن هناك سن معينة أو محددة يبدأ عندها الطفل في تلقي العلم، بل كان الأمر متروكاً لتقدير أولياء الصبيان، فإن وجدوا أن الطفل بدأ في التمييز والإدراك، بعثوا به إلى الكتاب.

ويبدأ الصبية تعليمهم بتعلم الكتابة والقراءة، وحفظ القرءان الكريم وتلاوته، حيث كانوا يكتبون الآيات القرآنية على الألواح، ويرتلون القرآن بصوت واحد. وفي هذا الصدد يقول ابن خلدون : << إعلم أن تعليم الولدان القرءان الكريم شعار الدين أخذ به أهل الملة، ودرجوا عليه في جميع أمصارهم لما يسبق فيه إلى القلوب من رسوخ الإيمان، وعقائده من آيات القرءان وبعض متون الأحاديث، وصار القرءان أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل بعد من الملكات >>.

وكان أولياء الأطفال يتحملون نفقة التعليم قبل القرن السابع، لأن الدولة لا تتدخل في شؤون الكتاتيب ، فليس للحاكم سلطان على هذه الكتاتيب، فهو لا ينشؤها، ولا يشرف على سير التعليم فيها، ولا شأن له بها، وغالبا ينشؤ المعلمون هذه الكتاتيب من تلقاء أنفسهم.

وأجاز الفقهاء عقاب الطفل إذا استحق العقاب، لكن لا يجوز عقاب الانتقام حتى لا يلحق بالمتعلمين ضرر، وأن يتدرج المعلم في العقاب، ولا يزيد في ضربهم إذا احتاجوا إليه على ثلاثة أسواط، لأن هذا المكان ليس بموضع الغضب والانتقام، وإنما هو موضع التأديب والتهذيب ومعاقبة الصبية بواسطة الضرب ضروري في التربية والتعليم، لكن على المتعلم أن يتجنب المواضع الحساسة والخطيرة كالرأس والبطن، ويجب على المتعلمين اجتناب السب والشتم وغيرها من التصرفات التي تضر بالتعليم، وتسيء إلى سمعة المؤدب أو المعلم.

وعلى المعلم أن يعدل بين الصبية في التعليم، ولا يفصل بعضهم عن بعض بل يعلمهم بالسوية غنيهم مع فقيرهم.

وليس على الصبية كراء الكتاب أو المكان المخصص للتعليم، بل يكون ذلك على عاتق المعلمين، فقد كان بعض المعلمين يكترون دكاكين يخصصونها لتعليم القرآن.

وإذا كان أكثر الفقهاء قد أختلفوا في جواز أخذ الأجرة على تعليم القرآن فإنه على ما يبدو أن معلمي بجاية قد آثروا أخذ الأجرة من الأطفال ميسوري الحال فقط، كما كان يفعل الفقيه أبو عثمان سعيد بن زاهر الأنصاري البلنسي(ت 654هـ/ 1256م)، حيث لم تكن له حرفة سوى الاشتغال بإقراء القرآن الكريم.

لكن بالرغم من هذا فإن هذه الأجور ما كانت لتكفل العيش الكريم لهؤلاء المعلمين، ولهذا نجدهم يستفيدون من بعض المساعدات المادية كالزيوت والشموع وبعض البقول والحبوب، والفواكه المجففة ، هذه المساعدات كان يستفيد منها أكثر المعلمين في جميع حواضر المغرب الأوسط.

وكانت العطل التي يأخذها الصبية تتمثل في يومي الخميس والجمعة، ثم يعودون صبيحة يوم السبت بالإضافة إلى أيام الأعياد الدينية، كما كانت الظروف القاسية لبعض المناطق تجبر الطلبة على التوقف عن الدراسة صيفاً.

أما عن أهم المواد التي كانت تدرس في الكتاب، فهو القرآن الكريم، لأنه أصل التعليم الذي ينبني عليه ما يحصل من الملكات حسب تعبير ابن خلدون.

ويبدو أن المعلمين قد أختلفوا في طريقة تدريس القرآن الكريم للصبيان في الأقطار الإسلامية، وهذا ما أكده ابن خلدون حيث يقول أن أهل المغرب يقتصرون على تعليم القرآن فقط وما يتعلق به من مسائل، ولا يخلطونه بغيره من العلوم كالحديث والفقه،والشعر، أما أهل أفريقية فيخلطون تعليم القرآن بالعلوم الأخرى، فطريقتهم أقرب إلى طريقة أهل الأندلس.

وقد تطور التعليم بحواضر المغرب الأوسط بوصول علماء الأندلس واستقرارهم بها، وكذلك بعودة الكثير من علماء وشيوخ بجاية من المشرق كأبي علي ناصر الدين المشذالي(ت731هـ/1330م) الذي تأثر بمنهج المشارقة، وعمل على إدخال بعض العلوم والمناهج الجديدة في نظام التعليم كتعليم النحو والعربية، والحساب، وكرواية الشعر، وتجويد الخط والكتابة.

وكان يوجد للصبيان نوعان من المعلمين في هذه المرحلة، الأول ويدعى المعلم الملقن، وهو المكلف بتلقين الأطفال القرآن الكريم دون كتابته في الألواح، تنزيهاً لكتاب الله عزوجل من عبث الصبيان، والثاني هو المعلم المكلف بتعليم الصبيان الخط، حيث كان يكتب خطاً نموذجياً، يقوم الصبيان بتقليده.

02- **المرحلة الثانية والثالثة من التعليم**:

وهذه المرحلة تلي مرحلة الدراسة بالكُتاب، حيث يكون الصبي قد حفظ القرآن الكريم، وألَمَّ بمبادئ القراءة والكتابة، وحفظ بعض المتون وتنتظم هذه المرحلة من التعليم بالمساجد، والمدارس.

وتتسم الدراسة في هذه المرحلة برغبة الطالب في اختيار المقررات والمواد التي يريد أن يدرسها، حيث يكون الطالب حراً من جميع القيود، ويختار بنفسه الشيخ الذي يروقه، أو المعلم الذي يريد أن يدرسه.

وكان الأساتذة يحترمون ميولات طلابهم، فلا يكرهونهم على دراسة علوم لا يريدونها ، كأبي حسن علي الحرالي (ت 638هـ/1241م)الذي كان يخبر طلبته ببجاية عن الوظائف التي تلائمهم في المستقبل كالقضاء،أو التدريس ، أو الفتيا ، وبالتالي يتوجهون لدراسة العلوم التي تلائم هذه الوظائف.

وكان الشيوخ والمدرسون في هذه المرحلة يراعون المستويات العلمية للطلبة بحيث يقسمونهم إلى مجموعات، عكس المرحلة الأولى في الكتاب الذي يعتبر الفصل بين الصبيان أمراً منهياً عنه، حيث كان لأبي عبد الله مُحَّد القلعي(673هـ/ 1275م) قسمين من الطلبة ، قسم يضم الطلبة النجباء، يلقي عليهم دروساً في النحو واللغة، وقسم ثاني يضم عامة الطلبة، ويشيد الغبريني بهذه الطريقة، حين يقول أنه لازمه أكثر من عشرة أعوام في القسم الأول، واستفاد منه كثيراً.

وكانت المواد التي يحبذ الطلبة دراستها، عاملا مهما في تحديد المقرر الدراسي، حيث كان أغلب الطلبة يتوجهون إلى العلوم الدينية خاصة الفقه، لأنه يضمن خير الدنيا والآخرة.

كما كان الطلبة في هذه المرحلة يدرسون العلوم اللغوية وما يتعلق بها من نحو وأدب، تمكنهم هذه المواد من بلوغ مستوى ثقافي وتعليمي رفيع.

وكثيراً ما كانت الظروف السياسية وعلاقة الفقهاء والمدرسين بالسلطة عوامل مهمة في تحديد مضمون المقررات الدراسية، حيث كانت السلطة تتدخل دوماً في هذه المرحلة لتوجيه التعليم مع ما يتناسب مع مذهبها خاصة إذا علمنا أن غالبية فقهاء المغرب الأوسط قد اعتنقوا المذهب المالكي.

أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة التخصص، ويمكن أن نقارنها اليوم بمرحلة التعليم العالي، حيث يتلقى الطلبة تعليمهم بنوع من التعمق والتخصص، كما يتوسع الطلبة في دراستهم، فإلى جانب العلوم الشرعية كالتفسير، والقراءات والفقه، والحديث، يدرس الطلبة علوماً أخرى كالعلوم الإجتماعية من فلسفة وتاريخ، حيث يدرسون هذه العلوم بمزيد من التفصيل.

كما كان بعض الطلبة يحظى بالتنقل إلى جامعة الزيتونة والقرويين والجامع الأزهر بمصر، لإكمال دراستهم ، وللإحتكاك بعدد أكبر من المعلمين والمدرسين.

وكانت المنافسة العلمية تشتد بين الأساتذة والعلماء الأندلسيين ونظرائهم من علماء المغرب الأوسط عموماً، حيث كان كل عالم يحاول إثبات قدرته على التدريس والعطاء العلمي، لأن التعليم في هذا المستوى يجلب لصاحبه الإحترام والجاه والمكانة الإجتماعية المرموقة، والدليل على ذلك ما ذكره الغبريني من أن المستنصر (647- 675هـ/ 1249- 1277م) أكرم الفقيه أبوبكر مُحَمَّد بن أحمد بن مُحَمَّد بن عبد الله بن سيد الناس(ت659 هـ/1260 م) وقربه، وأسند إليه تدريس العلم بالمدرسة التي تقع عند جامع الهواء، والتي أنشأتها أم الخلائق.

ويقوم بتدريس هؤلاء الطلبة أساتذة وشيوخ متضلعون، وعلى مستوى راق من التعليم، يعينون بواسطة ظهير سلطاني، في المؤسسات التعليمية المختلفة، وكان لهؤلاء الأساتذة والشيوخ، معيدون ونواب.

فالمعيد هو الذي يعين الأستاذ على نشر علمه، بحيث يعيد الدرس بعد أن يلقيه الأستاذ، وقد ذكر الغبريني في عنوانه العديد من المعيدين كأبي العباس بن الخراط الذي كان معيداً للشيخ أبي زكرياء يحيى الزواوي (ت611هـ/ 1215م)، فكان المعيد يجلس بجانب الفقيه الزواوي، حيث كان يتلو جزءً من القرآن الكريم والفقيه يقوم بتفسيره، كما كان هذا المعيد يقرأ بعض الأحاديث من كتاب صحيح البخاري، ثم يقوم الزواوي بشرح هذه الأحاديث.

أما النائب فهو المدرس الذي ينوب الشيخ في حالة غيابه، فيتناوب معه التدريس، ويجب أن يكون مستواه العلمي في مستوى الشيخ الذي سينوبه أو أقرب منه، حيث كان الفقيه أبو علي المسيلي، (ت 582هـ/ 1186م) يستنيب حفيده للتدريس مكانه، عندما يعرض له مرض.

ويجب على الأستاذ أو المعلم أن تتوفر فيه بعض الشروط المهمة، كأن يكون وافر العلم، مطلعاً على أمهات الكتب والمؤلفات، قادراً على العطاء، والحفظ والتثبت والصدق، والإنصاف، فغالباً ما تعود شهرة الأساتذة إلى هذه الصفات التي يتحلون بها، حيث ينتقل إليهم الطلبة من مختلف المناطق للأخذ عنهم، كالشيخ أبي مدين شعيب (ت594هـ/1198م)، وأبي علي حسن المسيلي (ت582هـ/ 1186م)، وأبي زكرياء يحيى الزواوي(ت611هـ/1215م) وغيرهم، ومن الأساتذة من كان يطلب من طلبته بالتقييد والكتابة عنه، كأبي فارس عبد العزيز بن مخلوف (ت602هـ/1205 م) الذي كان يأمر طلبته بالتقييد عنه، ومن الأساتذة من كان يأمر طلبته بعدم التقييد عنه،بل يأمرهم بالسماع والتركيز أثناء إلقاء الدرس فقط، كأبي مدين شعيب الذي نقل عنه أبو عبد الله مُحَمَّد بن أبي بكر الصنهاجي(ت 640هـ/ 1242م) أنه كان يكره التقييد وكان يقول<< لا أريد أن يقيد عليّ شيء مما أقوله>> ، كما يشترط في المعلمين أن ينقطعوا من حين إلى آخر، ويتفرغوا لتجديد المعلومات بالمطالعة والبحث، أو أن يخصصوا أوقاتا للالتقاء مع بعضهم البعض للنقاش والمذاكرة، كالمجلس الذي كان يقيمه أبو علي المسيلي(ت582هـ/ 1186م) مع الشيخين أبي مُحَمَّد عبد الحق الأشبيلي(ت581هـ/1185م)، والفقيه أبي عبد الله القرشي، حيث كانوا يجلسون للمذاكرة في المسائل العلمية والفقهية، حتى يعودون للتدريس بنَفَسٍ وعلم جديدين.